مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:06/ العدد:01 (2021) ص ص 69/57

# الهوية والصراع اللّغوي في المجتمع الجزائري

# *Identity and linguistic conflict in Algerian society*

**بوعرّوج محمد نجيب**

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

nadjib16007@hotmail.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 12 /05/ 2021

تاريخ القبول: 2021/06/11

**الكلمات المفتاحية:**

- ✓ الهوية
- ✓ الاتصال
- ✓ اللغة
- ✓ الصراع اللغوي
- ✓ المجتمع الجزائري

الملخص:

تتشكل الهوية من جُملة ثوابت مشتركة ومتعارف عليها من طرف أفراد المجتمع، كالتاريخ والمصير الواحد والموروث الثقافي والدين والتقاليد والعادات وصولاً إلى اللغة التي نسميها اللغة الأم وهي من العناصر الثابتة للهوية، هذه اللغة تربطنا بذواتنا وتصلنا بالآخرين؛ ولكنها لا تحجب أبداً عن أعيننا وعقولنا وجوب وعي الحقائق ورصد المتغيرات ونقل التجارب الإنسانية كما هي عليه، ومن ثمّ لُزوم الاعتراف بوجود الآخر المختلف عنا لغةً وفكراً وثقافةً. الاعتراف بالآخر لا يعني بالضرورة التباهي بقيمه ولغته وأفكاره ظنّاً منا أنها الأفضل والأسلم والأحدث. إنّ ما يُهمنا في هذا البحث الحالي هو التطرق إلى مسألة اللغة كنسقٍ من العلامات الاصطلاحية التي يستطيع الأفراد المنتمون إلى جماعة لغوية واحدة أن يتواصلوا فيما بينهم بواسطتها، والجماعة المقصودة هنا هي الجماعة اللغوية الجزائرية وانعكاس ذلك على الهوية.

Article info

Received : *12 / 05/ 2021*

Accepted :11*/06/2021*

**Keywords**:

- ✓Identity
- ✓Communication
- ✓Language
- ✓Linguistic struggle
- ✓Algerian society

Abstract :

Identity consists of a set of common constants that are recognized by the members of society, such as history, single destiny, cultural heritage, religion, traditions and customs along with the mother language or native tongue. This language connects us with ourselves and connects us with others however it never should blind us from perceiving reality and observing facts and transferring human experiences therefore it is necessary to acknowledge the existence of the other, which is different from us in language, thought and culture. Acknowledging the other does not necessarily mean showing off his values, language and thoughts, thinking that they are the best, the safest and the most recent ones. What concerns us in this present research is to address the issue of language as a system of idiomatic signs that individuals belonging to the same language group use to communicate with each other within the Algerian language group and how it affects identity.

**-مقدمة:** إن التغير الكبير الحاصل في العالم اليوم بسبب ثورة الاتصالات الحديثة قد غيّر المجتمعات والمفاهيم، فشبكة الاتصالات الحديثة هي عبارة عن سلاح ذو حدين وجب الحذر في استعمالها بما يأتي بالنفع للأفراد والمجتمعات، وللتحكم بهذا النسق الاتصالي يجب توفر مجموعة من الشروط: كتوفر الأجهزة الحديثة واحتواءها على برامج حديثة أيضا، إضافة إلى إتقان كيفية ولغة التحكم في هذه الأجهزة، حيث أن كل هذه الأمور يجب توفرها لمواكبة الأفراد لهذا العصر أو للعولمة، إذ يقول حرب(2005) في هذا الإطار بأن العالم اليوم لم يعد كما كان عليه بعد النسق الاتصالي الجديد وثورة المعلومات، إنها ثمرة الطفرات والانفجارات والتحولات المتسارعة والكاسحة التي تضع المجتمعات البشرية أمام التحدّيات الجسيمة والخطيرة، لذلك فالأجدى الانخراط في لغة الخلق والتداول والشراكة والإسهام. وبما أن العولمة ثمرة من ثمرات العصر وتحولاته الحضارية والتقنية فمن لا يحسن لغة العصر لا يحسن المشاركة في صناعة العالم وتفوته الفرص وتهمشه الحوادث والمتغيرات.

نعيش اليوم في عالم متطور للغاية حيث باتت وسائل الاتصالات الحديثة أهم حدث عالمي، إضافة إلى مساهمتها في تبادل الثقافات بين الأفراد والجماعات في مختلف بقاع العالم حيث جعلت منه "قرية عالمية (1959)"على حد تعبير ماكلوهان. من جهة أخرى نجد بأن المجتمع الجزائري بدوره حاول مواكبة العولمة بالاطلاع على ثقافات مختلف الشعوب وتأثره في الكثير من الأحيان بها، حيث نلاحظ هذا الأمر خاصة عند فئة المراهقين و الشباب. إن الاعتماد على اللغة هو الركيزة الأساسية لتحقيق الرُقي والتطور عند جميع شعوب العالم خاصة إذا نتج عنها رصيد علمي، معرفي، وتقني قوي قادر على مواجهة الثقافات الأخرى دون الانغماس فيها أو طمس معالم الثقافة الأصلية للأفراد أو ما يعرف عند الكثيرين بعدة مسميات: كازدواجية الثقافة أو الانسلاخ الثقافي أو الاغتراب وأزمة الهوية.

أكد بن البراء(2015) أنّ العالم اليوم يعيش مرحلة متميزة من تاريخه بفعل الدمج القسري الذي تمّ للأمم المختلفة والثقافات المتباينة في بوتقة النموذج الغربي الوافد والمتفوق. ولقد كان لآليات العولمة دورا كبيرا في التأرجح الجبري الذي تعرفه الشعوب المغلوبة اليوم بين

عالمين مختلفين: عالم ترى فيه نفسها وهويتها، وآخر يغزوها ولا تجد عنه محيداً ممثَّلاً في وسائل الاتصال العاتية التي تمثل اللغُة أُسسها الركين. ومن المتداول بين المختصين في علم اللغة الاجتماعي أن الأمم ذات الثقافات المترسّخة لا تستطيع النهوض دون الاعتماد على لغاتها، وأن للغة دوراً بارزاً في عملية النهوض وأثراً بالغ الوقع في التنمية بمفهومها الشامل، فكلما اتسعت قاعدة استعمال لغة ما، وتداولها بين صفوف متكلّميها كانوا أقدر على الفهم والإفهام، وأكثر وَعْياً بالأشياء والأفكار، وأسرع إلى الاختراع والابتكار. ولذا يظهر أن بين اللغة والمجتمع رحماً موصولاً وتعاضداً لا غنى لأيٍ منهما عنه.

هناك تهديد شديد قادم من الثقافات المتعددة، المختلفة والغريبة عن مجتمعنا المسلم عامة، وهذا التهديد يزيد خاصة عند تأثر المراهقين والشباب بالثقافات الغربية، يجب على الشباب اليوم الحرص عند الأخذ من ثقافة الغرب إذ عليهم تصفيتها من الشوائب وأخذ ما هو إيجابي فقط وليس العكس وكل هذا بهدف تطوير ثقافتهم لتتماشى مع العصر وتحقيق الرُقيّ والتحضّر والتنمية.

– **ماهية اللغة:** أشار سراج (1987) إلى أنّ اللغة تعد نوعاً من أنواع التعبير الكلامي الذي يؤديه الإنسان، ساعياً بواسطته إلى الفهم والإفهام وإلى التوصيل والأداء. وتتخذ اللغة الإنسانية حيزاً مهمّاً في منظومة التواصل المتعدد الأقنية التي تربط المجتمعات البشرية في عصرنا الحالي. واللغة بأشكالها: الإشارية والمنطوقة والمكتوبة تمثل الوسيلة الأقدم للتواصل البشري، فهي في نهاية المطاف صورةَ المجتمع، تعكسُ أولياته وكيفيات تعبيره عن ذاته، وطرائق فهمه لعلاقته بأفراده وبالآخرين وبالعالم. بيدَ أن معناها الشمولي لا يتصلُ بالمجتمع وبصورته عن نفسه فحسب، بل يتصلُ أيضاً بالتطور الثقافي الاجتماعي ووعي هذا المجتمع بذاته ومهماته وأولوياته، وتَوْقِهِ إلى الاتصال بالحضارات الإنسانية الأخرى والتفاعل معها دون التخلي عن الخصوصيات الثقافية لأبنائه.

كما نبّه الجنحاني(2002) إلى أنّ الحديث عن اللغة وأهميتها في تقدّم المجتمعات يقودنا بالتأكيد إلى طرح أبرز مؤطر ومحدّد لها والذي يتجسد في الهوية بمحتواها الثقافي المتجدّد الشكل والظهور، واعتبارها مطلبا مهمّا ينبغي النضال من أجله وتنمية الإحساس به وتقوية العلاقة بمحتويات تحركها من صورة جامدة تقليدية إلى صورة عصرية من خلال استيعاب

التغيرات والإنجازات التي أتت بها العولمة، وتكييفها وفق حاجاتنا ومصالحنا. كما يُضيف Lewin (1988) وبعبارة موجزة أن معظم المقولات اللغوية السائدة حالياً تؤكد أن العالم مصنوع بشكل ما من اللغة.

وتدعيما لذلك يؤكد العالم الأنتروبولوجي( لاندو) على أنّ الثورة في الدراسات اللغوية في القرن العشرين في الإقرار بأن اللغة ليست مجرد وسيلة لتوصيل الأفكار للعالم، بل هي أداة لجعل العالم موجوداً في المقام الأول، وليس الواقع ببساطة "معاشاً" أو "معكوساً" في اللغة، بل هو بالفعل محدَث بواسطة اللغة.

إذا كان الفرد في المجتمع البشري يكتسب موقعه وسلطته من قدرته على تكوين الرموز وبراعته اللغوية ونسبة تأثره بقيم الجماعة، حيث يكون لطلاقة التعبير وأنواع الجُمل التي يفتتح بها الحديث دور في تكريس قيمته الاجتماعية؛ فإن ذلك كله يعود إلى أن نظام الرموز الاتصالية واللغة على وجه الخصوص والتي لها دوران أساسيان متضادان كشفت عنهما العلوم الحديثة التي تعنى بماهية هذه الوسائل ووظائفها وآثارها، أبرزها ربط تطوّر الوعي البشري بتنمية عقل الإنسان والتي ساهمت فيها قدراته الفريدة اللغوية والرمزية، واستخدامه للأدوات، وقدرته على تخزين المعلومات بتسلسل تعاقبي، وأنه لم ينتج عن ذلك خلق الحضارة فقط بل التاريخ أيضاً(أورد في: ماكينا،2005).

نحن اليوم أمام أكثر وأهم محددات الوجود الإنساني الاجتماعي، ولعل الإشكال الأخطر حين نبحث عن هوية ثقافية لغوية عند أفراد أو جماعات محددة تمكّننا من التواصل الاجتماعي الإيجابي داخل المجتمع نفسه، وأمام هذه التغيرات في مجالي: العولمة والاتصال المحيطة بنا، والتي تدفعنا إلى تحقيق تناسق وتكامل اتصالي هوياتي اجتماعي متفق عليه، لاسيما وأن تحقيق ذواتنا الاجتماعية من أكثر المسائل أهمية في ظل تطور وسائل الاتصال والعولمة الاتصالية الحالية المهيمنة بشكل أو بآخر علينا، مما يقودنا إلى التشديد والتأكيد على الحاجة إلى تحديد هوية لغوية جماعية واجتماعية، فاللغة في اعتقادنا تعتبر من أهم العناصر التي تميز الكائنات بصفة عامة والكائنات البشرية بصفة خاصة، إن لم نقل أنها أبرز سمة تصنع تفرد البشر عن باقي المخلوقات، وقد بات معلوما الآن في الأوساط العلمية والجامعية إلى أي حد تؤثّر على الفكر ومن ثم على السلوك، وهي أيضا تعتبر نظام معقد

من الرموز التي تحمل في طياتها مختلف المعاني والمدلولات التي تساعد أي باحث على الولوج إلى الثقافة والاجتماع الإنساني.

نحن اليوم نرى وندرك التعددية والتنوع الثقافي اللغوي في العالم عامة والجزائر خاصة وما له من تأثيرات على حياة الفرد في المجتمع الجزائري، ومنه فمن الواجب علينا توحيد مفرداتنا اللغوية لتسهيل التواصل الإيجابي بيننا بعيدا عن أي أفكار واتجاهات إيديولوجية –غالبا ما تكون ردود أفعال شخصية لم تتمكن من فرض مقاييس لغوية موحدة– بقدر ما ساهمت في نشر ثقافة الاختلاف اللغوي. لذا فإن محاولتنا هذه تعتبر نقطة انطلاق لعرض أهم الإشكالات التي تمّ الوصول إليها من خلال ملاحظتنا الدائمة والمستمرة لواقع لغوي جزائري خاص.

– **اللّغة، الرّموز ودلالاتها المختلفة:** حسب المحواشي(2010) فإن ما يميز الإنسان ويعطيه خصوصية وجودية هو القدرة التي يملكها على عقل الأشياء وإنشاء الرموز وشبكة المعاني، فالعيش بالرموز وتوظيفها فعالية إنسانية بكل امتياز، بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي، ويُرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين من الناس. ودلالة الأشياء والعلاقات لا تدرك إلاّ من خلال استعمالاتها ومما تتضمنه من معنى في حياتهم ومما تتّخذه من دلالة في متخيلهم الجمعي.

بمعنى أنّ الإنسان منذ القدم قام بتوظيف الرّموز والإشارات كوسيلة اتصال وتفاعل مع غيره وبعد اكتشافه للغة تمكن من تطويرها وتحقيق درجة ملحوظة من تطوره ككائن بشري عاقل ومفكر قادر على الاكتشاف والتطور عن طريق العملية الاتصالية وربط شبكة علاقات مبنية على التكاتف والتعاون.

قد أشار سابقا فالح(2007) بأنه إذا أردنا دراسة الفكر والإنتاج الفكري فالواجب أن ندرس اللّغة، وإذا أردنا أن ندرس اللّغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع. لقد تطورت الأسماء إلى رموز ونقلت المجتمعات إلى أنساق رمزية تسيطر على أطر تفكيره، وتمنع العقل من التعامل المباشر مع الأشياء بسبب إحلال تلك الأنساق بدلاً منها، وهذا ما دعا( فيبر) إلى إطلاق إحدى مقولاته الشهيرة: "الإنسان ينتج رموزاً ويتشبث بها"، ليشتد عود خطاب الهوية في مرحلة لاحقة ويطرح نفسه بوصفه خصوصية، على المجتمع في صيرورته أن يحافظ

عليها، وعلى الآخر ألاّ يهددها أو يعمل على اختراقها، فتصبح الهوية بذلك بنية مصمتة غير قادرة على التواصل والمثاقفة، على اعتبار أن الآخر دوماً راغب في محو ثقافتها، وجادّ في العمل على تغيير حضارتها ومعالم وجودها.

في مقابل هذا قد نتبادل الحوار في العائلة أو مع الأصدقاء بالكثير من المفردات التي تحمل دلالات ومعاني متفق عليها أسريا أو بين الأصدقاء، ولكن مفردات الجسد والجنس تحمل خصوصية مميّزة جدا يطبعها في الغالب الطابع الرمزي أو بالأحرى طابع الاستعمال المحرّم أسريا واجتماعيا لأنها من الرموز الذكورية التي لا يصح ذكرها، بل وقد تحتاج إلى بحث خاص لطرح مضامينها وتأثيراتها النفسية والاجتماعية وهي متخيّلات "Imaginaire"لغوية رمزية مُنتجة اجتماعيا لنعيش بها، وتُبنى من خلالها رموزها وصورها عن نفسها وعن الأشياء والعالم، وبواسطتها تُحدّد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصة(أورد في: Ansart, 1977).

إنّ شبكات الاتصال التي يكونها الفرد في مجتمعه عامة وعائلته خاصة هي التي تقدم له الحماية وتُشعره بالأمن والأمان وتقوم بتطوير شخصيته وثقته بالنفس بحكم أن من خصائص الفرد أنه اجتماعي بطبعه وفطرته فغالبا لا يميل إلى الانعزال إلا الشخص المنطوي. إنّ اللغة اليوم هي الوسيلة الرئيسية والأساسية لجميع المجتمعات والتي تسمح للأفراد بتكوين عدة أنواع من العلاقات الاجتماعية وتساعدهم على قضاء حوائجهم بسهولة ويُسر.

**-الواقع الجزائري ومؤشرات انفصام الذات اللغوية:** تعتبر اللغة الأداة الأساسية التي تمكّن الكائن البشري من تنظيم تواصله وإنتاجه الفكري والعلمي ورُقيه الحضاري، وتشكل أيضا قناة لنقل المعارف والأفكار والمشاعر، ووسيلة لحفظها ونقلها عبر الأجيال، هذا إضافة لكونها تعد معياراً للتنمية الاجتماعية والعلمية.

اللغة هي الوسيلة الوحيدة لتواصل جميع شعوب العالم، والفرد الجزائري بدوره يتواصل مع الأفراد الآخرين على اختلاف بيئاتهم عن طريق اللغة، كذلك نجد بأن هاته الأخيرة تساعد على التعبير عن المكنونات الداخلية والتجارب والمعارف. إننا نعتبر المفردات اللغوية في حياة الفرد الجزائري مكونا أساسيا لشخصيته ولذاته الاجتماعية إضافة إلى عناصر أخرى: كالقيم والأخلاق...إلخ انطلاقا من مجموع الصور الذهنية التي يكتسبها الفرد من المجتمع

منذ طفولته، ولعل الأسرة هي أول من يوكّل لها هذا الدور الهام والأساسي المشكّل للهوية الثقافية للفرد، فهذا يعني أن الفرد منذ نشأته الأولى يعيش مرحلة تأسيس لغوي هويّاتي يُرسّخ من خلاله انتماءه الأسري والاجتماعي بمعية مجموع نشاطات تربوية أساسها لغة مشتركة تقود في النهاية إلى تحديد هوية الفرد الثقافية.

نلاحظ في الجزائر وجود واقع لغوي متنوع يعكس تواجدا لغويا لا متجانسا، ففي الوقت الذي تصر فيه الذات الجزائرية المعرّبة على تعليم الطفل اللغة العربية –بدءا من كلمة أمي–أبي، ثم الإصرار على مواصلة التفاعل اللغوي في المسجد خوفا على الهوية اللغوية والدينية للطفل، والتي ارتبطت بشكل أساسي باللغة العربية والأمازيغية وحتمية ممارستهما، ورفض أي لغة مغايرة لاسيما الفرنسية لدرجة أنه يمكن وصف هذا الموقف التربوي بالإيديولوجي من خلال النظرة للغة العربية في بعدها المعياري مثلا، وبأنها قادرة على الوفاء باحتياجات أبنائهم في جميع قطاعات الحياة، وأنّ لديها من الخصائص ما يجعلها مرنة، وهكذا في ظل الشعور المتزايد عن أصحاب هذا الموقف بشدة الهجمة وشراستها وتسارع عملية المسخ، تزداد نظرتهم هذه بمرور الأيام وتطالب بالتشبث باللغة العربية إذ هي الضمان الأوحد للحفاظ على الهوية.

في مقابل هذه الإيديولوجيّة اللغوية يقف على النقيض تماما فئة المفرنسين الرافضين لهذا الواقع والمتمسكين بالذات المختلفة، المتميّزة التي تعتمد في تواصلها الأسري والاجتماعي على مفردات لغوية فرنسية في تعليم الطفل بدءا من Papa وMaman، لتحاول قدر الإمكان مواصلة تعليمه أبجديات اللغة الفرنسية حتى التأكد من نطقها على الأقل وتعلّمها لاحقا.إن استعمال اللغة الفرنسية عند هذه الفئة يمتثل حسب ما يبدو إلى عاملين:من جهة الحاجة إلى الاتصال، ومن جهة أخرى الميل إلى الانفراد أو أكثر من ذلك إلى التميّز الاجتماعي، إنها تتغير حسب الأوساط.هذه الوضعية الشفهية للفرنسية أدى بها إلى التأثير على العربية الدارجة والأمازيغية(أورد في: فكار،2008).

يُضيف سعدي (2014) بأنه قد يعود السبب في تواجد هذا الواقع اللغوي الخاص إلى أن الثنائية (عربية/فرنسية) المنجرّة عن تدمير البنية الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري من جراء الوجود الكولونيالي هي أساس المشكلة اللغوية المعيشة منذ الاستقلال و إنها سبب ظهور

انقسام اجتماعي على أساس ثقافي لاسيما على مستوى النخب. فالانقسام الثقافي المتأتي من ممارسة لغوية قائمة على ثنائية تنازعيه أدى إلى اهتزاز المرجعيات المشتركة للمجتمع لتتحول إلى أداة توتر اجتماعي وثقافي، أو إلى وسيلة منتجة لسوء الانسجام في المجتمع.

يضيف في هذا الإطار غربي(2010)، بأن المتتبع لواقع الثقافة الجزائرية لاسيما في بعدها اللغوي يلاحظ أنها ذات أبعاد مختلفة فهي عربية إسلامية أمازيغية، متوسطية، إفريقية، عالمية، ورغم ذلك تضعف فيها أبعاد معينة وتقوى أخرى على مستوى الانفتاح الثقافي ففي الوقت الذي ينتظر فيه الاستفادة من جميعها نلاحظ غلبة التوجه المتوسطي فيها والفرنسي بالخصوص، ولهذا يحتدم الصراع بين معربين ومفرنسين والذي نستشف منه الأزمة اللغوية في الجزائر.

أما سيللو(2006) فيرى بأنه قد يصدق هنا الطرح العلمي القائل بوجود مجتمعات تربى أبناؤها على الثقافة الشفهية؛ فهؤلاء يكونون عادة اسميين، يعرفون الكلمة أو أسماء الأشياء لا الأشياء ذاتها. ويكون همّ هؤلاء الحفاظ على اللغة –الرمز–الكلمة، برسمها ومبناها من دون تغيير بدعوى الحفاظ على الهوية، لأن اللغة هي الهوية اللاّزمانية واللاّتاريخية المجردة من الفعل، ولأن اللغة هي الخاصية الحضارية، من دونها يغدو الوجود في نظر هؤلاء صفراً من كل شيء، كأن الحضارة هنا رسوم أو صياغة كلامية ومضامين تقليدية لا تاريخية الدلالة، وليست الحضارة فكراً وقيماً ونشاطاً إبداعياً وتعبيراً لغوياً يجسّد الفكر والفعل مرحلياً وأن هذا كله مجتمعاً يؤلّف معاً الإنسان أو خطاب الإنسان مع الطبيعة والمجتمع، ويمثّل طبيعة إضافية متجدّدة، ومعارف وثقافة ننظر ونتعامل عبرها مع الوجود، وترثها الأجيال للتطوير وإضافة المزيد.

ومن هذا الاقتراب إلى الواقع اللغوي الجزائري فبإمكاننا القول بأن مجتمعا يحتوي لغات وطنية (أمازيغية–عربية) و لهجات مختلفة في نطاق هذا الكلّ المتكامل ذلك تُكوّنُ ثقافته وهويته، هذه الحتمية اليوم أصبحت مهددة مع تطور الانترنت عامة ووسائل التواصل الاجتماعي خاصة، حيث أصبح المراهق والشاب الجزائري على حدّ سواء مولعون بتقليد الغرب حتى في طريقة كلامهم بل إن بعضهم أضاف كلمات أجنبية (خاصة منها الكلمات

الفرنسية والانجليزية) أثناء حديثهم بالدارجة وهذا الأمر لم نعهده قبلا وبالتالي فعلينا الحذر حتى لا يصبح هذا الأمر على حساب اللغات الوطنية (عربية–أمازيغية).

– **الإدماج الاجتماعي والهوية:** إذا سلمنا بأن الإدماج الاجتماعي هو أحد وظائف اللغة، فإن هذا الدور تضطلع به الدَّارِجَة أساسا حسب سعدي(2014)فيما يخص المجال الشفوي المعتمد خارج نطاق المؤسسات الرسمية بمختلف أنماطها. لكن هذا يعني أيضا أن وظيفتها التواصلية تقتصر على فضاء التبادل اللغوي العام، أما على مستوى الفضاء الخاص، أي النخبوي، فلا تلعب أي دور، فاللغة الدَّارِجَة ظلت دوما مُقصاة من الخطاب السياسي والديني والإعلامي بالرغم من أنها تعبّر عن الخصوصية الجزائرية أحسن من غيرها. ومن ناقل القول التأكيد بأن الأمر لا يتعلق بدعوة إلى استعمال هذه الأخيرة كلغة الكتابة والعلم والمعرفة، فوظيفتها تقتصر على المبادلات الشفوية أساسا، وهي مبادلات ذات أهمية على أكثر من صعيد، لكنها للأسف مجهولة أو غير معترف بها.

يضيف بغورة(2003) بأن الاختلاف يؤدي حتما إلى صناعة ما يجعل الشيء المختلف مختلفا ومتميّزا، أي ما يصنع هويته، وهذا ميل لا يمكن أن يغفل عنا خطر العزلة والانطواء أو الرفض لكل ما يشكله الآخر وخاصة في زمن العولمة والاتصالات التي يشهدها عصرنا، لذا فإن الاختلاف يجب ألاّ ينسينا ضرورة ربط الهوية بالطبيعة البشرية، لذا وجب تفكيكها إلى عناصرها المختلفة، بحيث تصبح حصيلة لعبة الاختلافات والتشابهات لا نتيجة تشابه أصلي، وبحيث تبدو المغايرة مقوّم من مقوّماتها.

أما بالنسبة للإدماج الاجتماعي فإنّ اختلاف اللغات واللهجات يعتبر شيئا إيجابيا للهوية خاصة إذا كانت الثقافات الفرعية تأخذ من بعضها البعض، بل أن هذا الأمر يؤدي إلى إثراء هذه الثقافات وزرع قيم المحبة والأخوة في أبناء الوطن الواحد لأن كل هذه الثقافات تُعبّر عن هويّتنا الإسلامية فهي لا تتعدى هذا النطاق.

– **الصراع اللغوي في المجتمع الجزائري:** في الوقت الذي تعرف المجتمعات الأخرى تقدّما اتّصاليا عالميا بلغة التكنولوجيات العالمية المتقدمة، وبمنطق لغوي إنساني اجتماعي هدفه الأساسي التأثير على الآخر –مهما كانت الغاية–لا نزال نعيش صراعات لغوية لم تمكننا من الوصول إلى مرحلة فهم الآخر المختلف عنا والمتعصب لذاتيته اللغوية، وعندما نقول

فهمه يعني ذلك معرفة التعايش معه رغم اختلافه عنا وذلك يكون بالبحث عن نقاط مشتركة بيننا أو محاولة خلقها إن تطلب الأمر فعل ذلك.

يرى غربي(2010)أنه في خضم التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع الجزائري تبقى الثقافة بذلك محل مراجعة ونظر متواصلين للوقوف عند ميكانزمات اشتغالها، ومحاولة تفسير عوامل تخلفها، وعجزها عن تجاوز الإشكالات القديمة كالفصل في المسألة اللغوية والتي ظنت الدولة الوطنية أنها فصلت فيها وتجاوزتها، ولكن إفرازات الجزائر الحالية تثبت العكس، حيث بقيت اللغة أداة للانتقاء والتوظيف والولاءات المختلفة وربما للهيمنة أيضا.

إذن يمكن اعتبارها أزمة لغوية قد تعكس تناقضا وصراعا داخليا في قلب المجتمع الجزائري، انطلاقا من رفض مبدأ الاختلاف. ربما هذا ما أدى إلى تواجد عجز في الالتحاق بالتقدم العلمي والمعرفي الذي يعيشه العالم اليوم انطلاقا من فقدان القدرة على التواصل باللغة العالمية المتفق عليها، والتي باتت لغة نخبة مثقفة قليلة جدا قد أدركت أهميتها وهو أيضا واقع سوسيولغوي جزائري لا يزال يعكس صراعا اجتماعيا متعدد الأبعاد، وفشل السياسات اللغوية في الجزائر، والتي أدت إلى ضعف في التواصل والتحاور، وهو ما انعكس بالخصوص في العجز عن التعبير والحوار وتبادل الرأي وتقبل الآخر، ولعل انتشار الكثير من مظاهر العنف الاجتماعي في الجزائر كما نراه يوميا في شوارعنا، يعكس بشكل من الأشكال حِدّة أزمة الحوار اللغوية، وهو ما أكد عليه بغورة (2003) في تناوله لموضوع الهوية والعنف في الخطاب الجزائري حين أكد أن طرح الهوية الجزائرية في صورة الثوابت بالمقدّس والرمزي اللغوي والديني واستبعاد كل إمكانية لفتح الهوية على الآخر والمختلف والمغاير أدى إلى سلسلة من أشكال العنف المضاد الذي ظهر في ثمانينيات القرن الماضي وما يزال مستمرا.

في حين يرى فكار بأنّ الانتماء هو من أهمّ الأمور التي تؤدّي بالفرد وتدفعه للقيام بأعمال معيّنة، محاولة منه لإرضاء الآخرين. ومنه فإنّنا إذا لم نعترف بذوات الآخرين المختلفين عنا لغويا فنحن إذن نعيش أزمة هوية لغوية اجتماعية جزائرية حقيقية.

إن الواقع السوسيولغوي في الجزائر كما ذكرنا سابقا يُظهر لنا بأن اللغة العربية المحلية هي اللغة الأم لأنها ممارسة من قبل الأغلبية الساحقة، وعليه فلها تواجد خاص ومكانة

خاصة في الإنتاج الثقافي، فهي حاملة للقيم المجتمعية وحاضرة في كل زمان ومكان، ومزوّدة بمكانة رمزية، ورغم تداولها في الخطاب اليومي العائلي والمحلي إلا أنها مُرتّبة في أسفل الهرم اللغوي،أما الدّارجة فهي مخصّصة للاستعمالات الشفهية المُقولبة أو النمطيّة «Langue Stéréotypée» وهذا ما يستدعي التمييز بين العربية المستعملة في المجال الرسمي والأخرى المستعملة في الخطاب اليومي العادي (أورد في: فكار،2008).

كما أننا نجد اللغة الأمازيغية إلى جانب اللغة العربية والتي أثبتت نفسها بجدارة كلغة منطوقة في الجزائر ولكن للأسف أرى بأنه هناك إهمال شديد لطريقة كتابتها والتي لا يتقنها إلا القلة القليلون وهذا عائق كبير علينا مواجهته لتطوير هذه اللغة وإرساء معالمها لأنها تمثل تراث بلادنا وحتى تتمكن من فرض نفسها وطنيا ودوليا.

نحن لا نعتقد بوجود صراع لُغوي بقدر ما هو إهمال لغوي تعود أسبابه لعدة عوامل، أعطي مثال على ذلك: يجب أولا مراجعة المنظومة التربوية بأطوارها الثلاث لأن في هذه المراحل بالذات يتحصّل التلميذ ويُطوّر رصيده اللغوي، يجب كذلك التشجيع على المطالعة والتعلم من السنوات الأولى للدراسة بل وحتى للطالب الجامعي، بالإضافة إلى ذلك يجب تغيير بعض الأمور من قبل الدولة وتسخير الآليات اللازمة لهذا الأمر مثل: وضع قوانين لكتابة مختلف اللغات على اللاّفتات في الشارع وفي الطرقات والمباني، إضافة برامج تلفزيونية تربوية تعليمية لغوية (دروس، مسابقات...) بدل التركيز على برامج الغناء وغيرها، توفير استمارات متعددة اللغات على مستوى مختلف الإدارات.

يرى آيت حمودة في هذا السياق بأن الجزائريين في حقيقتهم يحترمون كل اللغات، ويميزون بين اللغة كمنتوج حضاري، وأصحابها المستعمرين الغاصبين، فالأمازيغ تفاعلوا بإيجابية مع اللغات الوافدة وأبدعوا بها، كتبوا (بالبونية) كالعالم الفلاحي (ماغون) و(بالاتينية) كسانت أوغسطين، و(بالعربية) كالفيلسوف ابن رشد والعالم ابن فرناس...، وكان لهم علماء كبار في فقه اللغة العربية، قواعدها، ونحوها وصرفها، فصاحب (لسان العرب) ابن منظور أمازيغي من تونس، ومعه واثنان من أمازيغ زواوة (ابن معطي الزواوي) صاحب الألفية، (ابن أجروم)صاحب الأجرومية، كما أن صاحب البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التي ملأت الآفاق هي من نظم الأمازيغي الإمام محمد سعيد البصيري، وتفاعلوا مع اللغة

الفرنسية بإيجابية فكان لهم أدبهم المميز في رواق الفرنكوفونية، وهو ما يعني أن أجدادنا حملوا همَّ تطوير وإثراء لغات الوافدين على حساب لغتهم التي عانت الإهمال التقعيدي وهو ما جعلها بدرجة لهجات لكنها قابلة لتصير لغة مميزة، فاللغات تموت وتحيا بإرادة أبنائها، فما دامت إرادة الأمازيغ قوية في استرجاع لغتهم فالواجب هو تشجيعهم والأخذ بأيديهم في تذليل مختلف الصعاب.

– **خاتمة:** انطلاقا من كون مسألة التداخل بين اللغات في الجزائر يمكن تناولها من جوانب عدّة، نلاحظ هناك تداخل كبير بين اللغة العربية والفرنسية من جهة، وبين اللغة العربية وغيرها من اللهجات والعاميات من جهة ثانية، وتداخل بين اللّغة الأمازيغية والعربية والفرنسية من جهة ثالثة، ومن ثمّ تُطرح كلغة وسيطة وبديلة لذلك العنت والتعصب خوفا من أن تقضي لغة على لغة أخرى على الرغم ومنه نتأكد بأنّ اللغات تعمل بمبدأ الاقتراض اللغوي فيما بينها.

لقد حاولنا من خلال ما سبق ذكره طرح بعض الإشكالات المحورية والتي لا تزال بحاجة إلى أكثر من دراسة للتحليل المتعمق لأن الأمر جد معقد في اعتقادنا، وبقدر ما هو مؤثر بشكل كبير على تماسك واندماج الأفراد والجماعات داخل المجتمع الجزائري، ولأن الإيديولوجيات الخاصة والمتطرفة في الكثير من الأحيان أدت بنا إلى التأكيد أن الظاهرة اللغوية في الجزائر تحتاج إلى أكثر من دراسة وتحليل معمق لتحديد أبعادها والتحكم في تأثيراتها التي قد تكون سلبية في زمن العولمة والتعددية اللغوية خاصة على فئة الشباب باعتبار هذه الأخيرة أساس تطور المجتمع.

إن المجتمع المتماسك داخليا هو وحده القادر على فرض نفسه والتفتح على الآخر والتطور في الحقيقة، ثم إن الديمقراطية بمبادئها لا يمكن أن تزدهر إلا في مجتمع يملك مرجعيات ثقافية متنوعة ومشتركة، لاسيما وأنها مرغمة على التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية والتفتح على العالم وتبني الحداثة.

## - قائمة المراجع:


1-علي، حرب، (2005). زمن الحداثة الفائقة(الإصلاح-الإرهاب، الشراكة). المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1.

2- فالح، شبيب العجمي، (2007) .دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية. بحث منشور في مقاربات في اللغة والأدب(2)، الصادر عن قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، د ع، ص79.

3- نادر، سراج، (1987). لقاء مع عالم اللسانية أندريه مارتينيه. مجلة الفكر العربي، العدد 46، ص384.

4-عثمان، فكار، (2008). مكانة اللغات في الواقع السوسيولغوي الجزائري. مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 3، د ص.

5-إبراهيم، سعدي (2014). إشكالية التواصل اللغوي. مجلة اللغة العربية. المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 1، العدد 2، ص154.

6-بن البراء يحى (2015). اللغة والهوية وآفاق التنمية.

7-الزواوي، بغورة، (2003). الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس. الجزائر، دار القصبة للنشر.

8-تيرنيس، ماكينا،(2005). طعام الآلهة (البحث عن شجرة المعرفة الحقيقية). سوريا. تالة للطباعة والنشر،ترجمة: سمية فلو عبود.

9-حبيب، الجنحاني،(2002). العولمة والفكر العربي المعاصر. القاهرة، دار الشروق.

10-علي، غربي، (2010). الثقافة الوطنية وتحديات العولمة، في: العولمة والهوية الثقافية. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، د ع، ص67.

11-ميشيل، توما سيللو، (2006).الثقافة والمعرفة البشرية. عالم المعرفة، العدد 328، ص47، ترجمة:شوقي جلال.

12-منصف، المحواشي، (2010). الطقوس وجبروت الرموز:قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول. مجلة إنسانيات،العدد49، ص15.

13- http://alhiwartoday.net/node/1303 (تمت زيارة الموقع آخر مرة بتاريخ (10/ 06/ 2021)

14, Ansart ,P (1977). Idéologie ,conflits et pouvoir, Paris, Ed Puf.

15- R. Lewin, (1988). In the Age of Mankind, New York, Smithsonian Institution.